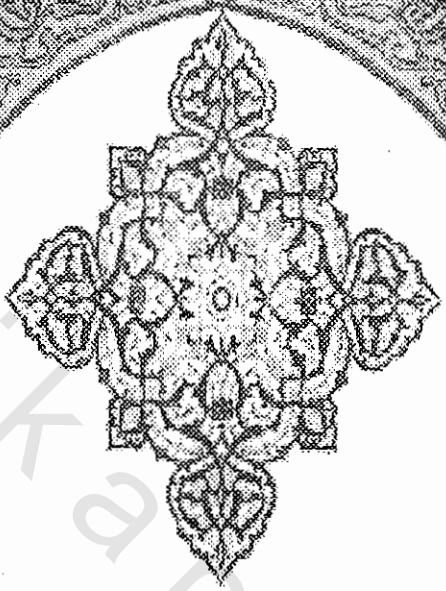

سورة النساء

obeikandl.com

﴿ سورة النساء ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴿١﴾ ﴾

أى أخرجكم من عماء الوحدة إلى الكثرة المطلقة، فالكل تفرع عن الواحد الأحد، واعلم أنه سبحانه كان واحداً فرداً ولم يكن يعرف إلا فى نفسه ولنفسه، فلما أراد يعرف ويتعرف عليه غيره، أخرج ذلك الواحد وعدده إلى الكثرة الزوجية فى الأشياء.

والناظر فى هذه القضية يرى عجباً، فيعلم أن المرأة فى التحقيق هى التى جاءت من الرجل، بخلاف ما نراه من ولادة المرأة الآن للرجل فإن آدم أخرج حواء من ضلعه الأيسر، وفى هذا سر القوامة للرجل على المرة.

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾

قرن الحق سبحانه تقواه بالأرحام، فكما نتقى الحق سبحانه حق التقوى فيجب علينا اتقاء تلك الكثرة التى خرجت عنه، أى الواحد الفرد ــ وذلك بصلتها وعدم قطعها، فإن الرحم كما ورد به الحديث شجنة معلقة فى العرش تقول: ((**من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله**))، فإنه لو تقاطع الرحم الإنسانى فيما بينه، لتنافر الوجود ولما تجمع فيما بينه، حيث لا توجد صلة تربطه ببعضه البعض، سوى

ذلك التراحم الحقانى والإنسانى.

﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ ﴾

اليتامى هم المترقبون للفتح والفيوضات والواردات من السادة العارفين، وممن وقفوا بباب المولى منتظرين أنصبتهم من الترقى، فطالب الحق سبحانه كبار العارفين من السادة المرقين أن يرقوا هؤلاء الصغار وأن يلقحوهم، وأن يؤتوا هؤلاء اليتامى أنصبتهم من الفتح والميراث الإلهى وأن يعطوهم حظوظهم من المعرفة الإلهية.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَـٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

أى ليس الظلم من طابع الربوبية، فإن الظلم أخو الجهل وهو مناف للمعرفة والعلم، والحق سبحانه حاشاه من صفات النقص، إذ هو تام المعرفة والعلم، ومن كان كامل المعرفة والعلم بنفسه وبغيره وكان كامل القدرة فإن منزه عن أن يظلم، فإن الظالم ناقص، ولا يظلم إلا من ألم به نقص فى كماله وصفاته ومحاسنه، والحق سبحانه قد اكتملت خصاله ومحاسنه، فكيف يظلم غيره ؟

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾

لكونه ﷺ أبا الشهداء، وهو النائب المطلق عن الحق سبحانه فى شهادته على الوجود وعلى كل شهيد من الأكابر، وحقيقة هذه الشهادة هو الإبصار الشهودى حيث أنه ﷺ أبصر ما لم يبصره الأكابر من الخلق والإيجاد بدأً وختماً، وعرف العلل فى الأعيان وتحقق من

درجات الكمال فيها تحققاً ذوقياً لم يتذوقه أحد كمثله، فإن لسان القدرة قال أزلاً: إنى أريد أن أخلق العالم من أجلك يا محمد.

ثم الأعظم من كل هذا أنه ﷺ أبصر بعينه ربه سبحانه فى الدنيا، بحيث انقطعت هذه الدرجة لكل مخلوق سواه هو ﷺ، فكان هو خير مشاهد لخير مشهود، فمن شاهد مثلما شاهد هو فافهم.

فهذا هو سر شهادته ﷺ.

﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ ﴾

وذلك لاطلاعهم على حقيقة درجته ﷺ التى كانت خافية عليهم فى الدنيا، فلابد للكفار والمنافقين من انكشاف مقامه المنيف ﷺ فى الآخرة، وانطماس تلك الرؤية القاصرة التى كانوا يرون ذاته الشريف فيها، فقد كان يراه أبو جهل، هيئة يتيم أبى طالب.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

هو خطاب لأهل الكمال من العارفين، فقد نهاهم الحق سبحانه ــ أى أهل هذه المرتبة ــ أن يكونوا أثناء الصلاة فى الفناء فقط والسكر، بل طالبهم بجمع البقاء والصحو مع الفناء والسكر،

أقول: وهو مذهب الكُمل من ساداتنا العارفين، بهذا الحديث أخبرنيه شيخنا قطب وقته سيدى عبد المجيد الشريف ﷺ ببيته بعابدين، حيث قال لى: إن مذهب الكمال أن يجمع العارف بين الفناء والبقاء فى وقت واحد، فيفنى عن الوجود فى الله وهو باقٍ مع الناس بجسمه ولبه

وعقله، وعن هذا المقام قال الشيخ أبو العباس المرسى ﷺ: ربما ألاعب أحد أولادى وروحى تحوم حول العرش.

وكان أكمل الخلق سيدنا محمد ﷺ فى جمعية تامة مع ربه سبحانه فانياً فيه تمام الفناء، وفى نفس الوقت لا تغيب عنه مصالح الخلق والقيام بأعباء الحدث، وهذا هو مقام الكمال الأتم.

وعن هذا المقام يقول سيد الخلق ﷺ للصحابة وهو فى الصلاة :

((**اعتدلوا فإنى أراكم من خلفى**))، وفيه إشارة إلى جمع المقامين.

وكان عمر الفاروق ﷺ يدير شؤون الجيش وهو فى الصلاة.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾

أى يسامح العبد فى كل ما يقع منه من تقصير فى حق بشريته وظلم نفسه كالقتل والزنا والسرقة وخلافه، وأما ما يقع منه من تقصير فى حق الربوبية ومس ذاتها وصفاتها بشرك وكفر، فلا تسامح فيه المرتبة الإلهية، بل تعذب من يقول ذلك وتخلده فى النار أبد الآبدين.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴿٥٨﴾ ﴾

إى يأمركم أيها العلماء العارفون الربانيون المورثون لغيرهم ممن يرثهم فى المعرفة بالله أن تؤدوا تلك الأمانات العرفانية فى إرث المعرفة الإلهية إلى من يستحقها وممن كتب الله له تلك الإراثة، فأنتم أيها العارفون مطالبون بأداء تلك الإراثة إلى أربابها.

ولذلك قال العارفون عن هذا السر المحير: لو كان أولى الناس بميراث الشيخ لكان ابنه.

وقال أحد العارفين: لو كانت القطبانية تنال بالإراثة لكان أولى

الناس بها ابن القطب، ولكن الله أراد شيئاً آخر.

أقول: ولهذا وقعت الشيعة فى هذا الخطأ الشنيع، فأصروا على توريث الإمام على له ﷺ مباشرة بعد موته، والله أراد خلاف هذا من توريث أبى بكر ﷺ ، ولم يتأدبوا مع العلم الإلهى القديم، بل ساروا مع أهوائهم وميولهم النفسية، ونصبوا العداوة لمولانا الصديق ﷺ.

وكان أحد المورثين يقول لوريثه: لى أربعون سنة وأنا فى انتظارك.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴿٥٩﴾ ﴾

من العارفين بالله، الذين لا يغيب عنهم شهور الكون والجولان فيه بأرواحهم، فاطلعوا على حقيقة المعرفة، وما يصلحها وما يفسدها من العلل والحجب والموانع الكثيفة، فضمهم الحق سبحانه إليه وإلى رسوله ﷺ فى رجوع الخلق إليهم عند حدوث اللبس العلمى فى مسألة من المسائل الغامضة فافهم.

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾

وذلك لكونه ﷺ العنصر المكمل لنقصنا، وهو المزيل لظلمنا لأنفسنا إذا جئنا بابه وقصدناه.

فإنه ﷺ العنصر الكامل الذى يكمل النقص فى العنصر الناقص.

واعلم أن فى هذا الأمر الإلهى الشريف بقصد بابه المنيف ﷺ لكى

يغفر لنا لإبانة لمدى علو مقامه ﷺ، لكونه ناب عن الربوبية فى عموم المغفرة لمن تحقق من مقامه ﷺ .

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾

وهو مقام الاستسلام التام لحكمه ﷺ وخلع حظوظ النفس بين يديه ﷺ.

وهو المعبر به عند القوم بطرح المريد لنفسه بين يدى شيخه كما يطرح المريض نفسه بين يدى الطبيب الذي يعالجه فيفعل فيه ما يريد فلا يتم كمال الإيمان به ﷺ حتى يحبه من ادعى حبه حباً يملك عليه كل حب، فلا يحب شيئاً أكثر منه سوى الحق عز وجل .

﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ ﴾

أى لو كتبنا على الكل هذا الاختبار الصعب بأن يقتلوا أنفسهم فى سبيل الله ورسوله ﷺ، ويحاربوا تلك النفس الأمارة وينتصروا عليها، وبأن يخرجوا من ديناهم وديارهم حباً فى الله ورسوله ﷺ، لما نجح فى هذا الاختبار سوى قلة قليلة، وعندما تصر هذه الفئة الصغيرة على النجاح فى هذا الاختبار فإن هذا سيزيدها ثباتاً فى الطريق المعروفة الإلهية .

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ

﴿ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ﴿٧٥﴾ ﴾

من أهل المعرفة.

﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾

طلبوا الخروج من هذه القرية لغلبة الظلام على أهلها وكثافة حجابهم واستيلاء الجهل بالله عليهم، يقول سبحانه: ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ ﴾، ويقول سبحانه مؤنباً لمن لم يهاجر الظلم والظلمات: ﴿ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾

وقد قال أحد العارفين بالله فى هذه الآية: إن كيد الآدميين أعظم وأشد من كيد الشيطان، حيث قال سبحانه واصفاً كيد النساء: ﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾.

ولنا كلام جليل فى مراتب المكر فى كتابنا المسمى تكملة الفتوحات المكية.

﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴿٧٨﴾ ﴾

لكونه سبحانه مصدر الكمالات والتنزهات، فلا يصدر منه إلا الخير، ولا يصيب العبد منه سوى الحسن من الأشياء، يقول سبحانه:

﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ﴾.

﴿ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴿٧٩﴾ ﴾

لكون النفس محط الشر، فهى الأمارة بالسوء، الباحثة عن الشهوات، والراتعة فى حياض الغفلات.

واعلم أن للمتكلمين كلاماً طويلاً فى حقيقة صدور الأعمال من العبد فى مجال الخير والشر، وخلاصة القول عند أهل المعرفة والتحقيق أن الحسن والقبح راجع إلى أصل الطينة الذى صنعت منها الذوات الآدمية، فلا تخرج كل نفس وذوات عن أصل طينتها فى الحسن والقبح.

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٨٢﴾ ﴾

بقراءته بقلوب عارفة، وبمشاعر جارفة، وبعيون ذارفة، وبألسن للذكر غارفة، فهذه هى تلاوة العارفين، وتدبر الواصلين.

﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾

وتناقضاً طويلاً، ولكنه محكم، أحكمه الذى يعلم السر وأخفى، وحتى متشابهة هو متشابه فى ظاهره عند أهل الظاهر، محكم فى ظاهره وباطنه عند أهل المعرفة.

﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴿٨٣﴾ ﴾

تلقياً عن العين، لا استنباطاً يعمل فيه اجتهاد العقل، فإن العقل

عاجز عن استنباط الأكابر بى حنيفة والشافعى ومالك وغيرهم من المستنبطين الإلهيين .

أقول: واعلم أن الاستنباط الإلهى هو المشار إليه بالاجتهاد المطلق فى عرف الفقهاء، والذين قالوا بانقطاعه أخفقوا، فلا زال أهل الله يتلقون عن الله إلى قيام الساعة، فإن الأكابر ممن وصلوا إلى العين التى يستنبطون منها لا مذهب لهم، كشيخنا التجانى وشيخنا محى الدين بن عربى رضي الله عنهما وغيرهما من أهل الله تعالى، فهؤلاء تلقون من العين المحمدية، فلا حاجة لهم بمذهب، وحتى لو تمذهبوا بمذهب معين فإنما تمذهبوا به احتراماً وتأدباً مع ظاهر الشريعة وحفاظاً على الأمة .

﴿ فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ ﴿٨٤﴾ ﴾

لأجل الاختبار لبقية من اتبعك، وهو من الأدب الإلهى الرفيع حتى يعلم من اتهم الإسلام أنه أقيم بالسيف أنه قد اخفق، فإنه ﷺ لم يكن يجبر أحداً حتى يصدق به ويتبعه فقد قيل له ﷺ من حضرة الله: ﴿ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴾ وقيل له :

﴿ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾

أى حفزهم بالكلام لا بالإجبار، حتى تتضح نياتهم وحتى تظهر معادنهم، فيتبين لك الكاذب من الصادق .

﴿ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةً وَٰحِدَةًۚ ﴾

أى أن أعداء السالك لا يزالون فى انتظاره كى يغفل عن مجاهدتهم

فيميلون عليه ميلة واحدة لأجل حطه عن مكانته، وإسقاطه عن مرتبته، ومن هنا حذر الحق سبحانه السالكين والعارفين من الغفلة عن أعدائهم كالنفس والشيطان والخلق، ولذلك قيل: ((**المخلصون على خطر عظيم**)) .

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ ﴾

أى أن العارف إذ نُصِبَ قاضياً بين الخلق فلا يجب عليه أن يستخدم كشفه فى الحكم بين الناس، فإن هذا ينافى ظاهر الشريعة، ولذلك لما أرسل سلطان العلماء العز بن عبد السلام ﷺ ابن دقيق العيد ﷺ قاضياً بصعيد مصر، وجاءه رجلان يختصمان فى جاموسة وأنكر السارق قال له ابن دقيق: كيف تنكر السرقة وأنا أرى قرنيها فى عينيك؟ فخرج قرناها من عينيه، فبلغ ذلك العز فعزله من منصبه وقال له: أنا لم أرسلك لتفضح الناس.

أقول: ومن أعظم من سيد الخلق ﷺ فإنه لم يبلغنا أنه استخدم كشفه فى فضح المتخاصمين، بل كان يحكم بظاهر الأمر تأدباً مع ظاهر الشريعة، فقد يرى العارف ببصيرته ما يخفى على أهل الظاهر أن يروه بأبصارهم فيكذبوه فافهم.

وقد كان العز بن عبد السلام رحمه الله ينكر على ابن عربى أمام الناس فإذا خلا بنفسه امتدحه فسُئِلَ عن ذلك؟ فقال : إننى أذب عن ظاهر الشريعة .

وكان شيخنا عبد المجيد ﷺ يكره أن يتكلم فى دقائق التصوف أمام الناس أو فى مجلس عام ويحبذ أن يتكلم فى ظاهر الشريعة .

﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ ﴾

إعلام للعارف بأن لا يترك مراقبة الله ولو طرفة عين، وإعلام له بأن يصلح نيته وباطنه، فإن الباطن خير من الظاهر، وقد قال سيد الأولين والآخرين ﷺ: ((**نية المرد خير من عمل**)) وليكن حظ ذلك العارف من الدعاء بأن يقول: ((**اللهم اجعل باطنى خيراً من ظاهرى**)).

﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ ﴾

اعلم أن هذا النصيب المفروض يستثنى منه المخلصون، حيث قال سبحانه: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾.

أخبرنا الشيخ العارف صلاح الدين التجانى ﷺ بزاويته بإمبابة قال: إن من عباد الله من لم يكتب عليه ذنب ولا معصية مثل أبى يزيد البسطامى ﷺ.

﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ

﴿ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ ﴾

يقول أبو على الدقاق أستاذ القشيرى فيما نقله عنه القشيرى فى كتاب المعراج: إن مقام موسى عليه السلام هو أقرب المقامات إلى مقام نبينا محمد ﷺ ولو ذكر موسى فى القرآن بقدر ما ذكر لكان القرآن كله فى موسى عليه السلام.

﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴿١٦٢﴾ ﴾

وهم علماء المعرفة الباطنيين من أهل الكتاب من القساوسة وغيرهم ممن آمن به ﷺ سراً قال سبحانه: ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾.

﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ ﴾

أى لن يستنكف هذا العبد الكامل فى أن يقوم فى مقام العبودية الصرف لله تعالى.

يقول سيدى محيى الدين بن عربى ﷺ فى الفتوحات: أن حظه كان من العبودية الصرفة لله عز وجل شعرة كاملة بينما كان حظ أبى يزيد ﷺ مثل رأس النملة.

عبيدٌ ولكن الملوك عبيدهم وعبدهم أضحى له الكون خادما